تجميع لأبرز إصدارات منتدى البدائل العربي للدراسات

حول

الحركات الاجتماعية ومسارات التحول الديمقراطي في المنطقة العربية

(ديسمبر/ كانون الأول 2023)

منذ نشأته تفاعل منتدى البدائل العربي مع المنطقة العربية باعتبارها منطقة مترابطة، ورغم خصوصية كل دولة فإن التأثير والتأثر بين مكوناتها يشكل جزءًا من هذه الخصوصية، وهو سرعان ما أثبتته موجات الحراك فيها. عرفت منطقتنا موجتين من الربيع العربي، بدأت الموجة الأولى من تونس في ديسمبر/كانون الأول 2010، وشملت: مصر، اليمن، سوريا، ليبيا، والبحرين. أما الموجة الثانية فقد انطلقت من السودان في ديسمبر/كانون الأول 2018، قبل أن تتسع لتشمل كلًّا من: الجزائر، لبنان، والعراق.

لم تكن موجتا الربيع العربي منبتتين الصلة عمَّا قبلهما، فقد جاءتا استكمالًا لحراك اجتماعي استمر لسنوات قبلهما. فقد عرفت مصر حراكًا سياسيًّا ممتدًّا لسنوات قبل 2011، كما هو الحال مع حركة كفاية، وأيضًا عرفت حراكًا نقابيًّا وعماليًّا، كما هو الحال مع موجة تأسيس النقابات المستقلة. كذلك كان الحال في تونس تحت حكم زين العابدين بن علي، التي شهدت حراكًا اجتماعيًّا عام 2008، خلال ما عرف بانتفاضة الحوض المنجمي في منطقة قفصة، ما مهد فيما بعد للثورة التونسية. وكذلك الحال مع ربيع دمشق عام 2000 في سوريا، والحراك الجنوبي في اليمن عام 2007. فلا يمكن فصل التحولات السياسية التي شهدتها المنطقة العربية خلال وعقب 2011، عن تاريخ من النضال لحركات اجتماعية مختلفة لعقود عدة. وعلى هذا فإننا لا يمكننا فصل موجة الربيع العربي الأولى عن موجته الثانية وعن موجات أخرى قادمة. فالتحولات السياسية وما يصاحبها من تفاعلات لا يجب النظر إليها باعتبارها حوادث منفصلة، بل هي على شكل موجات قد تتقدم وقد تتراجع، لكنها لا تتوقف.

خلال مراحل التحول السياسي تلك، واجهت دول الربيع العربي عدة قضايا تتعلق بالمرحلة الانتقالية وكيفية إدارتها بعد عقود من السلطوية، منها: كيفية إصلاح مؤسسات الدولة، كإصلاح الأجهزة الأمنية والقضاء والإعلام الحكومي. وكذلك أسئلة تتعلق بشكل النظم السياسية الجديدة التي تنوي بناءها، كالاختيار بين النظم الرئاسية والنظم البرلمانية. والسؤال حول المسار الواجب اتباعه خلال المراحل الانتقالية، وهو ما جسده سؤال: الدستور أولًا أم الانتخابات؟ بالإضافة إلى قضايا أخرى تتعلق بالمواطنة،

مثل: حقوق الأقليات الدينية والعرقية، وكذلك دور المرأة، وكيف يمكن إدارة التنوع داخل المجتمع من أجل ضمان الحقوق السياسية والاجتماعية لكل فئات المجتمع. كما ثارت أيضًا قضية علاقة المركز بالأطراف وكيفية إصلاح نظام الحكم المحلي.

لم يكن التعامل مع تلك القضايا بالأمر السهل عقب عقود من الحكم السلطوي الذي أضعف كفاءة مؤسسات الدولة، وسيَّس العديد منها لخدمة مصالحه. من جانبها، ارتكبت القوى السياسية خلال المراحل الانتقالية هي الأخرى أخطاء عمَّقت الاستقطاب السياسي داخل المجتمع، وخاصة الاستقطاب الإسلامي العلماني. وكذلك اختارت بعض القوى الثورية استخدام السلاح للدفاع عن أهدافها، ما انزلق بها ومعها المسار الثوري إلى حروب أهلية. فانتهى الأمر بكل دول الموجة الأولى للربيع العربي إلى الفشل. فقد انزلقت كل من سوريا وليبيا واليمن إلى نزاعات مسلحة. أما مصر وتونس، فقد شهدتا استقطابًا حادًّا بين الإسلاميين، جماعة الإخوان المسلمين في مصر وحركة النهضة في تونس من جانب، والقوى المدنية أو العلمانية من الجانب الآخر. وبينما تدخلت القوات المسلحة المصرية في يوليو/تموز 2013، لإنهاء حالة الاستقطاب السياسي، بالإطاحة بحكم جماعة الإخوان المسلمين، فإن الرئيس التونسي قيس سعيد قام بتجميد عمل مجلس الشعب الذي تولت رئاسته حركة النهضة، قبل أن يقوم بحله في مارس/آذار 2022، وذلك بعد ثمانية أشهر من تعليق أعماله وتوليه كامل السلطة التنفيذية والتشريعية في تموز/يوليو 2021.

وبينما اعتقد الكثير من الباحثين أن موجة الربيع العربي قد انتهت وعادت إلى الواجهة المقولات القديمة، حول عدم استعداد المجتمعات العربية للديمقراطية، فإن الحراك الشعبي في السودان قد فاجأ الجميع في ديسمبر/كانون الأول 2018، بالخروج مجددًا إلى الشارع من أجل المطالبة بإسقاط نظام عمر البشير. وكما جرى خلال الموجة الأولى للربيع العربي، فقد انتشرت عدوى الحرية سريعًا لتصل إلى الجزائر، التي خرج المتظاهرون فيها ضد حكم عبدالعزيز بوتفليقة، وإلى لبنان والعراق حيث تظاهر الآلاف ضد النظام الطائفي في كل من البلدين. إلا أن تلك الموجة الثانية واجهتها هي الأخرى عقبات عدة. فقد جاءت جائحة كورونا في بداية عام 2020، لتضع حدًّا للتظاهرات الشعبية في كل تلك الدول، ما عطَّل آمال تلك الشعوب في بناء نظم سياسية ديمقراطية غير طائفية.

عرفت المنطقة العربية عقدًا صاخبًا، بدأ بثورات شعبية في 2011، وانتهى كذلك بموجة جديدة في 2019. عندما نتأمل السنوات الماضية، فالأمر الأكيد أن الربيع العربي لم ينتهِ. تُظهِر الانتفاضات الشعبية في السودان والجزائر والعراق ولبنان قبل جائحة كورونا هذا الأمر، هذا بالإضافة إلى المطالب السياسية والاجتماعية والاقتصادية المستمرة في جميع أنحاء المنطقة. فلم يتم التوصل بعد إلى توازن سياسي يضمن الاستقرار للمنطقة العربية ويلبي طموح شعوبها. فلا يزال حلم الشعوب العربية ببناء نظم سياسية تحمي حقوقهم حاضرًا. لكن بعد مرور أكثر من 12 عامًا على الموجة الأولى للربيع الأول، تغير المشهد السياسي بشكل جذري وكذلك تغيرت معه حال الشعوب العربية ومخاوفها وتطلعاتها.

صنعت التحولات السياسية التي حدثت قبل عشر سنوات تحولات بعيدة المدى في المشهد السياسي. ويمكن إجمال هذه التغييرات في ثلاث قضايا رئيسية: الخوف من انهيار مؤسسات الدولة، وزيادة الاستقطاب المجتمعي، والأولوية التي تعطيها الشعوب العربية للمطالب الاجتماعية والاقتصادية.

ففي عام 2011، لم يكن لدى المتظاهرين الذين خرجوا إلى الشوارع في تونس ومصر وليبيا وسوريا واليمن، سوى القليل من القلق بشأن خطر انهيار الدولة. وبينما حاولت الأنظمة السياسية استخدام خطاب "نحن أو الفوضى" لردع الاحتجاجات الشعبية –كما في حالة نظام مبارك في مصر– فإن معظم المتظاهرين لم يصدقوا هذا التهديد، ولم يردعهم هذا الأمر عن الاستمرار في التظاهر من أجل إسقاط تلك الأنظمة. ومع ذلك، بسبب الحروب اللاحقة في سوريا وليبيا واليمن، بدأ هذا الخطاب يكتسب قوة لدى قطاعات واسعة من المجتمعات العربية. فقد صارت تلك المجتمعات أكثر وعيًا بأهمية **الحفاظ على مؤسسات الدولة على ضعفها**، وصاروا ينظرون بالشك إلى دعوات التغيير السياسي التي يمكن أن تشكل تهديدًا لتلك المؤسسات. فصارت قضية الحفاظ على مؤسسات الدولة وإصلاحها من دون المخاطرة بهدمها أولوية لقطاعات واسعة من الشعوب العربية.

أما التغيير الثاني الذي شهدته المنطقة العربية خلال العقد الماضي، فهو **زيادة الاستقطاب الديني والعرقي**. فخلال الموجة الأولى من الربيع العربي في عام 2011، كانت المجتمعات العربية أقل استقطابًا سواء سياسيًا أو دينيًا أو عرقيًا، مما هي عليه اليوم. ساهمت الحوارات العلمانية الإسلامية في مصر وتونس خلال التسعينيات والعقد الأول من القرن الحادي والعشرين في بناء جسور الثقة بين الطرفين، ما مهد للحظة عام 2011، التي وقف فيها الإسلاميون والعلمانيون معًا ضد الأنظمة القديمة. هذه الوحدة لم تعد موجودة اليوم. فقد عمقت تجربة الربيع العربي من الانقسام العلماني الإسلامي، حيث يلوم العلمانيون الإسلاميين بأنهم يرغبون في احتكار السلطة لصالحهم، بينما تتهم القوى الإسلامية العلمانيين بالتحالف مع قوى الأنظمة القديمة من أجل استبعادهم من المشهد السياسي. كما تصاعدت التوترات الدينية والعرقية في المنطقة منذ عام 2011. ففي سوريا، على سبيل المثال، خلفت الحرب الأهلية السورية المستمرة جراحًا عميقة بين الطوائف الدينية والعرقية المختلفة في البلاد، مثل: التوترات بين المجتمعات الشيعية والسنية، وكذلك بين الأكراد والعرب، وبين المسلمين والمسيحيين. مثل هذه التوترات تقلل من الثقة بين المواطنين وتزيد من صعوبة تعبئة تلك الجماعات المختلفة معًا من أجل بناء مشروع سياسي للتغيير.

أما ثالث تلك التغييرات فهي **الأولوية التي باتت تعطيها الشعوب العربية للمطالب الاقتصادية والاجتماعية**. في عام 2011، ربط المتظاهرون بشكل واضح بين التغيير السياسي ومعالجة القضايا الاجتماعية والاقتصادية، معتقدين أنه بمجرد إسقاط الأنظمة الاستبدادية، فإن مشاكلهم الاقتصادية والاجتماعية سوف تختفي بشكل تلقائي. لم تَسِر تجارب التحول الديمقراطي على هذا الشكل الذي تصوره المتظاهرون في 2011. فلم تختفِ المشاكل الاجتماعية والاقتصادية، بل إنها تفاقمت في كثير من الحالات. واليوم، يزعم بعض الناس أن وضعهم الاجتماعي والاقتصادي كان أفضل في ظل الأنظمة القديمة بعد تجارب الربيع العربي. ففي تونس، مهد الربيع العربي، لم تتوقف الاحتجاجات الاقتصادية والاجتماعية منذ إسقاط نظام بن علي. وشهد عام 2019 وحده أكثر من 9000 حالة احتجاج اجتماعي. وعلى مدى السنوات العشر الماضية، عرفت تونس مظاهرات ذات مطالب متنوعة، من المطالبة بفرص العمل وتوفير الخدمات وحتى الحق في المياه النظيفة والدفاع عن قضايا البيئة التي تؤثر في عمل التونسيين، كما هو الحال مع تلوث البحر وأثاره في مجتمع الصيادين. بل إن تلك الاحتجاجات طالت سيدي بوزيد مهد الربيع العربي، حيث أشعل انتحار محمد البوعزيزي حرقًا، موجة الاحتجاجات التي تحولت فيما بعد إلى موجة الربيع العربي الأولى. فبعد أكثر من 12 عامًا على شرارة الربيع الأولى يرى سكان المدينة أن أوضاعهم لا تزال على حالها، إن لم تكن قد ساءت.

لم تنجح الدول العربية التي انخرطت في موجتي الربيع العربي الأولى والثانية في بناء نظم ديمقراطية تلبى طموحات شعوبها في الحرية والعدالة الاجتماعية. لكن هذا الفشل ليس بالأمر غير المعتاد في تاريخ نضال الشعوب من أجل التغيير الديمقراطي. على مدى القرنين الماضيين، اتخذت العديد من الدول خطوات مهمة نحو الديمقراطية ثم ما لبثت أن تراجعت عنها، لتعاود مرة الأخرى النضال من أجل تحقيقها. فالتغيير السياسي لا يسير عادة في شكل خط مستقيم، بل يأتي على شكل موجات تتقدم وتنحسر، وتطرح في كل منها إشكاليات مختلفة يتوجب على النخب السياسية والحركات الاجتماعية وكذلك مراكز البحث والفكر التعامل معها.

وبمناسبة مرور خمسة عشر عامًا على تأسيس المنتدى نقدم هذا التجميع لأهم ما صدر عن منتدى البدائل العربي للدراسات على مدار سنوات عمله، حول مسألة الحركات الاجتماعية ومسارات التحول الديمقراطي في منطقتنا العربية، وذلك بمناسبة احتفالات المنتدى بمرور خمسة عشر عامًا على تأسيسه. يتناول هذا التجميع مسارات التحول الديمقراطي والحركات الاجتماعية في منطقتنا من خلال ثلاثة محاور، الأول يحلل أثر دور الحركات الاجتماعية في عمليات التحول السياسي. أما المحور الثاني فيحلل موجتي الربيع العربي، أسبابها، مراحلها الانتقالية، وكيف انتهت. أما المحور الثالث فيطرح قضايا التحول السياسي التي واجهتها دول الربيع العربي، كتنظيم الإعلام والأحزاب والعلاقات المدنية العسكرية والمواطنة.

المحور الأول: الحركات الاجتماعية في المنطقة العربية

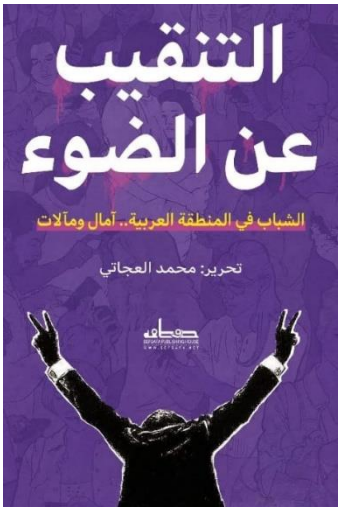

1- كتاب: التنقيب عن الضوء: لشباب في المنطقة العربية ...آمال ومآلات
https://www.afalebanon.org/ar/publication/9387/

2- كتاب: الحركات الاحتجاجية في الوطن العربي
https://www.afalebanon.org/ar/publication/8199/

3- كتاب: المجتمع المدني في المنطقة العربية: تطورات وتحديات ما بعد الحراك
https://www.afalebanon.org/ar/publication/8092/

4- كتاب: الشباب وجماعات العنف.. رؤى شبابية
https://www.afalebanon.org/ar/publication/5825/

5- كتاب: الأنماط غير التقليدية للمشاركة السياسية للشباب في مصر (قبل وأثناء وبعد الثورة)
https://www.afalebanon.org/ar/publication/5100/

المحور الثاني: الربيع العربي ومساره ونتائجه

1- دراسة: انتكاس الديمقراطية في المنطقة العربية
https://www.afalebanon.org/ar/publication/9386/

2- دراسة: الشعبوية والخطاب البديل
https://www.afalebanon.org/ar/publication/8426/

3- كتاب: أزمات التنمية السياسية في المنطقة العربية
https://www.afalebanon.org/ar/publication/8090

4- كتاب: اليسار والثورات العربية
https://www.afalebanon.org/ar/publication/5614/

5- كتاب: ثورات الكرامة العربية (رؤى لما بعد النيوليبرالية)
https://www.afalebanon.org/ar/publication/5378/

المحور الثالث: قضايا مراحل التحول الديمقراطي

1- كتاب: إصلاح الإعلام في المنطقة العربية: المهنية والمأسسة

https://www.afalebanon.org/ar/publication/6747/

2- كتاب: تدعيم المواطنة من خلال المحليات في المنطقة العربية

https://www.afalebanon.org/ar/publication/6795/

3- كتاب: إصلاح المؤسسات في المنطقة العربية

https://www.afalebanon.org/ar/publication/5869/

4- كتاب:المجالس المحلية وتمكين المشاركة المجتمعية "نماذج عربية"

https://www.afalebanon.org/ar/publication/5862/

5- كتاب: المواطنة والمكونات الاجتماعية في المنطقة العربية

https://www.afalebanon.org/ar/publication/5809/